

## أدب التعامل مع الأنبياء

د. بدر الدين عبد الكريم أحمد\*

### المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، الذي جاء بالصدق وصدقه المتقون الذين منهم تستقى الأخبار، وتنتقى الأقوال والأفعال، لتوظف في خدمة كلمة التوحيد، وحفظ الدين، والنفس، والعرض، والنسل، والمال، وتلك أهداف الرسالة الإسلامية، ونهاية سعادة الإنسانية، والسبيل إلى الدين القيم، ومن هنا تأتي أهمية الموضوع وأسباب اختياري له؛ بالإضافة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. المساهمة في تأصيل العمل الإعلامي المعاصر وفق المنظور القرآني.
٢. إيجاد دليل إعلامي متخصص في كيفية نقل الأخبار والتثبت منها وتحليلها، ومعالجة المشاكل الناجمة عنها في ضوء إشارات وتعاليم القرآن الكريم.
٣. العمل لتطوير العمل الإعلامي الإسلامي المعاصر، سواء أكان المقروء منه أم المسموع أم المشاهد، وإعداده لمواجهة التحديات المعاصرة التي تواجه الإسلام والمسلمين.

\* أستاذ مساعد، ورئيس قسم القراءات بكلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية.

## منهج البحث

تماشياً مع طبيعة البحث التي تتطلب التحليل والتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تناولت موضوع البحث، اخترت المنهج التحليلي استصحاباً للأدلة، واستنباطاً للأحكام الشرعية منها.

## خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة:

المقدمة: واشتملت على:

١. توطئة.

٢. أهمية البحث وأسباب اختياري له.

٣. منهج البحث.

التمهيد:

١. تعريف النبأ.

٢. وظيفة الإعلام في الدين الإسلامي.

الفصل الأول: في أدب الثبوت من النبأ.

الفصل الثاني: في استخدام الوسائل السريعة والحديثة لنقل النبأ.

الفصل الثالث: بيان أهمية نقل المعلومة والخبر.

الفصل الرابع: في أدب التعامل مع النبأ.

المبحث الأول: توجيه النبأ وصياغته

المبحث الثاني: تحليل النبأ وتوجيهه.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

## التمهيد

### تعريف النبأ

النبأ: الخبر والجمع أنباء، وإن لفلان نبأ أي خبراً، وقوله ﷺ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عن أنبياء الطير (٢) [النبأ: ١-٢]، قيل عن القرآن، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النبي (١) ﷺ، وقد أنبأ إياه وبه، وكذلك نبأه متعددة بحرف وغير حرف أي أخبر، والخبر: بالتحريك واحد الأخبار والخبر ما أتاك من نبي عمن تستخبر والخبر النبأ، والجمع أخبار وأخاير جمع الجمع، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته وقوله تعالى: ﴿فَسْتَلِ بِهِمْ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، أي اسأل عنه خبيراً يخبر وخبره بكذا وأخبره نبأه واستخبره سأله عن الخبر وطلب أن يخبره ويقال تخبرت الخبر، واستخبرته ومثله تَضَعَفْتُ الرجل واستضعفته وتخبرت الجواب واستخبرته والاستخبار والتخبر السؤال عن الخبر، وفي حديث الحديبية أنه بعث عينا من خزاعة يتخبر له خبر قريش أي يتعرف، يقال تخبر الخبر، واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها، والخاير المختبر المجرب ورجل خابر وخير عالم بالخبر، والخبير المختبر، والخبير من أسماء الله ﷻ العالم بما كان وما يكون وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَفِكُ عَنْ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، أي: لا يخبرك مثل من هو خبير بالأشياء عالم بها، وهو الله سبحانه، فإنه لا أحد أخبر بخلقه، وأقوالهم وأفعالهم منه سبحانه، وهو الخبير بكنه الأمور، وحقائقها (٢).

### وظيفة الإعلام في الدين الإسلامي

نقل الأخبار، وتداولها يعد وسيلة الاتصال الإنساني المباشر، وفطرة فطر الله عليها البشرية منذ نشأتها الأولى، فقد كان التكليف الأول الذي أمر الله به آدم ﷺ بعد خلقه

هو مهمة البلاغ والتوضيح والإفهام، وذلك في أول اتصال بملائكة الله، حيث يقول الله ﷻ: ﴿كَأَدُمُ أَنْتَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]. ثم كان هبوط آدم ﷺ ونزوله إلى الأرض أول نبأ يتلقاه عن ربه ﷻ بعد الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، وذلك لما قال الله ﷻ له: ﴿أَسْكَنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. قال أبو جعفر (٣): "يقول الله تعالى إخباراً عما أكرم به آدم بعد أن أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس، فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس، وأخرجه منها وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أي مكان شاء منها، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها" (٤)، ثم كان آدم ﷺ النبي أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض، والرسول من الله جل ثناؤه إلى ولده (٥)، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، قال أبو جعفر: والهدى في هذا الموضع البيان، والرشاد، وعن أبي العالية (٦) في قوله: «فإما يأتينكم مني هدى» قال: الهدى، الأنبياء، والرسل، والبيان (٧)، وقيل: الهدى، الرسل والكتب (٨)، وقيل: كتاب الله، وقيل: التوفيق للهداية، وقالت فرقة: الهدى الرسل، وهي إلى آدم من الملائكة، وإلى بنيه من البشر (٩)، وقال ابن عباس: «من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: «فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى»، قال ابن عباس: فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (١٠).

عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله أرأيت آدم نبياً كان؟ قال: نعم كان نبياً رسولاً كلمة الله، قال له: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة» (١١)، وعن أبي أمامة رضي الله عنه: «أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم معلم مكلم» (١٢). فكان آدم ﷺ النبي المخبر عن الله ﷻ، والرسول المبين لأمره، والتذير لبنيه، وتلك هي وظيفة الأنبياء

والرسل البلاغ، والإعلام عن هدى الله، وبيان سبيله، وإنذار<sup>(١٣)</sup> أقوامهم من عذاب الله، وتلك هي وظيفة الإعلام في ظل دولة الإسلام، وتلك أساسياته وعليها تبنى ركائزه وأهدافه التي أهمها:

١. بيان هدى الله، وصراطه المستقيم، وتبصير الناس به، وتعليمهم إياه مصداقاً لقوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فقد بلغ الرسول ﷺ ما أنزل عليه لأصحابه وقرأه على الناس على مكث، أي على مهل، وتؤدة ليحسنوا أخذه ويحفظوا لفظه، ويفهموا سره، ثم شرح لهم القرآن بقوله، وبعمله، وبتقريره، وبخلقه أي بسنته الجامعة لأقواله، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته<sup>(١٤)</sup>، وهو تعليم للأمة أن تقتدي به، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ»: العرب، والامي من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً، «رَسُولًا مِنْهُمْ»: هو محمد ﷺ، «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ»: القرآن، «وَيُزَكِّيهِمْ»: يظهرهم من الشرك «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ»: القرآن، «وَالْحِكْمَةَ»: ما فيه من الأحكام<sup>(١٥)</sup>.

٢. بث العلم، وتبليغه، وإذاعته، تعليماً وإفتاءً، لأن بالعلم قوام الدنيا والدين، ولأن الدين الإسلامي قام على العلم والقراءة فكانت أول سورة أنزلها الله على نبيه محمد ﷺ بلسان جبريل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. «اقْرَأْ»: أوجد القراءة مبتدأ، «بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» الخلاق<sup>(١٦)</sup>. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «تسمعون ويسمع منكم، ويسمع ممن سمع منكم»<sup>(١٧)</sup>، ثم تربية الأمة، وخاصة النشء على تلاوة القرآن المجيد وتعظيمه بتعلمه، وتعليمه، وحفظ حدوده، وأحكامه، وعلم حلاله، وحرامه، وتكريم أهله، وحفاظه<sup>(١٨)</sup>.

٣. نشر قيم الدين، والإيمان، والعمل الصالح والدعوة، إلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

٤. غرس قيم التربية القتالية في نفوس أهل الإيمان، من الشباب، والشيوخ، والنساء، والأطفال، وتحريضهم على قتال أعداء الله، والدين، والوطن، وتعليمهم قيم الصبر، والثبات عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَكْفِيَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاوَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: ٨٤]، وقال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]. والمعنى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً» جماعة كافرة «فَاثْبُتُوا» لقتالهم ولا تنهزموا «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» ادعوه بالنصر «لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» تفوزون<sup>(١٩)</sup>. وعن أبي وائل، عن معاذ بن جبل، قال: «كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ثم قال ألا

أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه، فقلت: بلى يا رسول الله، قال رأس الأمر وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله، فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا، فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم» (٢٠).

٥. تخفير الناس وإنذارهم مما يحدق بهم من الأخطار، ويقودهم إلى المصائب أو الهلاك، وهذه الوظيفة أهم وظائف الإعلام، وأساسياته. فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: «يا صباحاه» (٢١). فاجتمعت إليه قريش، قالوا: ما لك؟ قال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم، أو يمسيكم أما كنتم تصدقونني، قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» (٢٢)، وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثلي رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان» (٢٣)، فالنجاه (٢٤)، قاطاعه طائفة من قومه، أدلجوا (٢٥)، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم (٢٦)، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» (٢٧).

### الفصل الأول: في أدب التثبت من النعمة

أمر الله ﷻ المؤمنين من أهل الملة بالتثبت والتبين من نقل الأنباء، والتبصر في الأمور للواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر، وأن يكون ديدنهم في ذلك الحلم، والأناة وعدم العجلة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

قال المفسرون: إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصداقاً إلى بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم، وفي رواية: لإحنة كانت بينه وبينهم، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث نبي الإسلام ﷺ خالداً بن الوليد وأمره أن يثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلما جاؤوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكره، فعاد إلى نبي الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية. فكان يقول نبي الله ﷺ: ((التأي من الله، والعجلة من الشيطان)) (٢٨)(٢٩).

وفي تنكير الفاسق والنبا شياخ في الفساق والأنبياء، كأنه قال: أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتبينوا، أي فتوقفوا فيه، وتطلبوا بيان الأمر، وانكشف الحقيقة، ولا تعتمدوا بقول الفاسق، لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه (٣٠).

والثبوت والتبين متقاربان، وهما طلب الثبات والبيان والتعرف. «أن تُصَيِّبُوا قَوْمًا» ثلثا تصيبوا بجهالة، حال، أي حال كونكم جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة، «فَتُصَيِّبُوهَا» فتصيروا «عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (٣١).

وبما أن الفسقة أولياء للشيطان، والشيطان عدو للمؤمن الصادق، فإن هم الشيطان وأوليائه الفسقة دائماً هو إيقاع الفتنة بين المؤمنين، وتمزيق صفهم بنقل الأخبار الكاذبة والملفة، والأضاليل المخترعة. فإذا كان الناقل فاسقاً وجب الثبوت والتبين والبحث عن الحقيقة في الأمر. وينطبق هذا التوجيه الرباني أيضاً على الأنبياء والتحاليل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تنشرها وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة التي يشرف عليها فساق هذه الأمة أو أعداؤها في عالمنا المعاصر، لأن غاية هؤلاء في الأصل فتنة الأمة وإفساد أحوالها ولذلك كان الأمر والنداء الرباني المؤمن بتقوى



الله، وملازمة الصادقين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» بترك معاصيه «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق التام الناجز المطابق لما في الضمير ولحقائق الأشياء المخبر عنها ماضياً وحاضراً واستقبلاً، وكان معنى قوله تعالى: «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً (٣٢).

والنبا خبر يتضمن ثلاثة أشياء:

١. أن يكون ذا فائدة عظيمة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧) ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ (١٨) [ص: ٦٧-٦٨]. «أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» أي القرآن الذي أنبأكم به (٣٣)، وجتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحى، وهو قوله: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّهِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٦٦) [ص: ٦٩]. «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّهِ الْأَعْلَى»: الملائكة، «إِذْ يَخْتَصِمُونَ» في شأن آدم حين قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. فقوله: «قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» أي وقل لهم يا محمد: «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» أي ما أنذركم به من الحساب والثواب والعقاب خبر عظيم القدر، فلا ينبغي أن يستخف به، قال قتادة: نظيره قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (٢) [النبا: ١-٢] (٣٤)، وقال ابن عباس، ومجاهد وقاتادة: يعني القرآن الذي أنبأكم به خبر جليل، وقيل: عظيم المنفعة (٣٥).

٢. وأن يحصل به علم، ولتضمنه معنى العلم، قيل: أنبأته كذا كقولك: أعلمته كذا، أو أن يغلب عليه الظن، كقولك أنبأته بكذا فهو خبر يحتمل الصدق والكذب، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ: أن يتعزى عن الكذب، كالتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النبي ﷺ، وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً لأنه إنما أمر فيها بالتثبت

عند نقل خبر الفاسق<sup>(٣٦)</sup>، ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً؛ لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة يبطلها لأننا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق<sup>(٣٧)</sup>، وقد استثنى الإجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود وإثبات حق مقصود على الغير مثل أن يقول: هذا عبدي فإنه يقبل قوله وإذا قال: قد أنفذ فلان هذا لك هدي فإنه يقبل ذلك وكذلك يقبل في مثله خبر الكافر وكذلك إذا أقر لغيره بحق على نفسه فلا يبطل إجماعاً<sup>(٣٨)</sup>.

وقوله: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» فتبينه أنه إذا كان الخبر غائباً عن المخبر وكان شأناً عظيماً له قدر، فحقه أن يتوقف فيه، وإن علم وغلب صحته على الظن، حتى يعاد النظر فيه ويتبين، والتبين طلب بيان حقيقة والإحاطة بها علمياً<sup>(٣٩)</sup>.

كما كان من أمر نبي الله سليمان عليه السلام لما قال المدهد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَلَمٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢-٢٠]، قال سليمان: وما ذلك الخبر؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٣-٢٤]، فكان هذا فحوى الخبر، تلقاه الملك سليمان عليه السلام عن المدهد الذي استنكره بقوله: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٥-٢٦].

فكان هذا الخبر بمثابة السبق الخبري للمدهد، لأن سليمان عليه السلام كان لا يرى أن في الأرض أحداً له مملكة معه، وأنه عبد من عباد الله ملكه من ملكه، واستجاب لدعوته: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٣٥]. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي: لا يكون، «لأحد من بعدي» أي سواي، وذلك نحو قوله تعالى: «فمن يهديه من بعد الله» أي سوى الله، «إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»<sup>(٤١)</sup>،

وكان مع ذلك أيضاً رجلاً حبيب إليه الجهاد والغزو، وقد دله الهدد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضم مملكة لغيره إلى ملكه، فهل استفزه الخبر المثير، والأمر الجد خطير إلى حكم سريع، أو استجره حب الزيادة في الملك لقرار تحريك الجيوش مباشرة إلى مكان الحدث؟ كلا ولكن كان قوله كما حكى القرآن عنه: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] (٤٢)، فقوله: «سَنَنْظُرُ» من النظر الذي هو التأمل والتصفح، «أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» في مقابلتك و«كُنْتَ» بمعنى أنت وقال: «سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ» ولم يقل سننظر في أمرك لأن الهدد لما صرح بفخر العلم في قوله: «أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ» صرح له سليمان بقوله: «سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ»، أم كذبت فكان ذلك كفاء لما قاله (٤٣). وكما أمر القرآن وأرشد إلى التزام الصدق، والتبين، والتثبت من الأنباء كذلك حث الرسول ﷺ على التزام الصدق ورغب فيه، ونهى عن الكذب، وذمه ووضع القواعد لمن بعده من أصحابه وأتباعه أن يأخذوا أقواله، وأفعاله، وتقاريراته عن الثقات العدول من أهل الإيمان؛ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق بر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب فجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذاباً»، وعن عبد الله بن جرّاد أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا نبي الله هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك قال: هل يكذب؟ قال: لا، ثم أتبعها نبي الله ﷺ حيث قال هذه الكلمة: ﴿لَا يَزْنِي الْمُسْلِمُ وَلَا يَسْرِقُ وَلَا يَكْذِبُ﴾ [النحل: ١٠٥] (٤٤).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها من العيب في اعتد بها، فليكن له بها عذاباً عظيماً»، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من كذب بعد ما يرى الباطل، لم يزد الله به عذابه» (٤٥).

ﷺ قال لأشج (أشج عبد القيس): «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» ((٤٧)) (٤٨).

ولقد اتبع علماء الحديث - جزاهم الله خيراً - قواعد علمية مهمة جداً مستوحاة من تعاليم الإسلام وأخلاقه في نقل الأخبار والتثبت والتحقيق منها ومن قائلها في سبيل المحافظة على تراث نبي الأمة سالماً من الزيادة، والنقص، والتحريف لم يسبقهم إليها أحد من أهل الملل الأخرى، ونقله بأمانة وتفصيله على علم يبين أنهم هم المقصودون بالحديث المشهور - على الاختلاف في ثبوته - : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» ((٤٩)) (٥٠).

ولكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الأخلاق، والقيم والتعاليم، واتبعوا الكذب، والبدعة والدجل فنقلوا الأحاديث والأنباء بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، ولا تثبت، ولا تبين، بل إن العوام ومعظم الخواص من أولي العلم في واقعنا المعاصر لا يتورعون حتى في نقل خبر الله تعالى، وخبر رسوله ومنهم سماعون للكذب يستقون الأنباء من الفسقة التاركين لطاعة الله، والمخالفين لأمره مثل اليهود والنصارى والملاحدين من العلمانيين، والشيوعيين وغيرهم، ويبثونها للمسلمين بوساطة الأجهزة والمخترعات التقنية الإعلامية الحديثة كالمدياغ والتلفاز، والفضائيات، والمجلات والصحف السيارة، وغير ذلك، وهم بذلك يتولون اليهود، والنصارى، والكفرة الملحدين، الذين هزؤوا بهم وبدينهم ونيبهم وما زالوا، وما انفكوا، وما برحوا، لذا كان خطاب الله ﷻ ونداءه لأهل الإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلَىٰ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وفي هذا الخطاب والنداء تنفير من موالة أعداء الإسلام الذين يتخذون شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزواً يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد (٥١). ومن اتخذهم أولياء

فهو منهم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَقْبَانًا﴾ [المائدة: ٥١]، وإن تزياً بزي المسلمين وتكلم بلسانهم، يلوون ألسنتهم بمعاني آيات الله وسنة رسوله، ولا شك أنهم المعنيون بأقوام آخر الزمان في ما جاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «(سيجيء في آخر الزمان أقوام يكون وجوههم وجوه الأدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، أمثال الذئاب الضواري، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة، سفاكون للدماء، لا يراعون عن قبيح، إن تابعتهم وأربوك<sup>(٥٢)</sup>)»، وإن تواريت عنهم اغتابوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن ائتممتهم خانوك، صبيهم عامر وشابهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، الاعتزاز بهم ذل وطلب ما في أيديهم فقر، الحليم فيهم غاو، والأمر بالمعروف فيهم متهم، المؤمن فيهم مستضعف، والفاسق فيهم مشرف، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، فعند ذلك يسلط شرارهم ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم» (٥٣).

ونسأل الله الهدى والحفظ والتثبيت في أمرنا كله ونعوذ بالله أن نضل أو نجهل أو نتكلف ما ليس لنا به علم.

### الفصل الثاني: في استخدام الوسائل السريعة والحديثة لنقل النبا

كانت الوسائل المتاحة لنقل المعلومة الإنسان نفسه، والخيول، والبغال، والحمير، التي خلقها الله ﷻ وسخرها لخدمة الإنسان، ثم تطورت الوسائل لتشمل السيارات، والطائرات، والقطارات الحديدية، والبريد، والفاكس، والبريد الإلكتروني وغير ذلك، وتعد وسائل الفاكس، والبريد، والطيران أسرع الوسائل الحديثة للوصول إلى الخبر أو المعلومة، إلا أن الطيران يعتبر الوسيلة الأكثر ضماناً وأماناً للخدمة الخيرية والإعلامية، فعن طريقه ينقل المراسلون إلى مكان الأحداث بسرعة عالية لتغطيتها ومن ثم نقلها إلى عالم متسع من المتلقين عن طريق الأذن، ولكن بوسيلة جديدة وجهاز جديد عُرف

بالراديو. وتنتقل أيضاً على أنظار الملايين وعيونهم عن طريق التلفاز أو غيره من الوسائل المرئية الحديثة، مما جعل العملية الإخبارية تتحول شكلاً ومضموناً وهدفاً، حيث لم تعد مجرد خبر ينقل أو تسلية في وقت فراغ، بل أصبحت تمثل نشاطاً هادفاً يسعى إلى العديد من الأهداف والتي تتركز في معظمها على التأثير والإقناع بهدف إحداث التغيير والتحويل نحو أهداف ومبادئ وقيم يسعى إليها صاحب الرسالة ومرسلها، سواء أكان ذلك في عالم القيم والمثل أو الاتجاهات والمبادئ والمذاهب، ويهدف استمالة المتلقي (السامع أو المشاهد) واعتناقه قيم صاحب الرسالة واتجاهاته ومبادئه<sup>(٥٤)</sup>.

ومع تطور الحياة السياسية والاجتماعية تعددت الدول وقامت معظمها على مبادئ وأفكار وقيم مختلفة، وكل دولة تسعى لسيادة مبادئها وانتشار أفكارها وإخضاع الآخرين لما يروونه من مبادئ واتجاهات، فكان هذا الصراع العالمي الذي اتخذ شكل الحروب والقتال والغزو العسكري<sup>(٥٥)</sup>، الذي يحتم على المسلمين الأخذ بالوسائل التقنية الحديثة عامة والإعلامية خاصة، لاسيما وسيلة الطيران التي أضحت سلاحاً قوياً في عالم اليوم، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً، لها قدرة الوصول إلى المعلومة المطلوبة من مكان الحدث مباشرة، وهي قاعدة لا بد منها (أي الإتيان بالمعلومة من مكان الحدث ومعابته) في العمل الإعلامي الناجح والتميز، الذي لا تقبل فيه كلمة: سمعت، ونقلت، وقيل لي، فالمعينة أقوى وأثبت وأعظم، ونسبة نقل المخبر للخبر من غير معابته كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه، وأفعاله، وفضائله، وخصاله الحميدة، إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما، فليس محبته له كمحبة المشاهد، وليس الخبر كالمعينة<sup>(٥٦)</sup>، يدل على ذلك قوله تعالى حكايةً عن قيل الهدهد لنبي الله سليمان ﷺ حين أخبره عن أهل سبا وملكتهم:

﴿وَجِثَّتْكَ مِنْ مَسِيٍّ يَنْبَغِي﴾ [النمل: ٢٢]، وفي قوله ﷺ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَذْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٣] لَعَذِبَتْهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَاهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ. وَجِثَّتْكَ مِنْ مَسِيٍّ يَنْبَغِي ﴿٢٢﴾ إِيَّيَّ وَجَدْتُ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشَ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَ خَيُّ هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤِ إِذِ الْفَيْءُ إِلَى كُتُبِكُمْ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ [النمل: ٢٠-٣٠] مجموعة من الإشارات العلمية في مجال نقل الخبر والمعلومة نجملها في النقاط التالية:

- الإشارة إلى أن العمل في مجال نقل المعلومة والخبر لا يخلو من المتاعب، والمشاكل، والمخاطر<sup>(٥٧)</sup>.
- جواز إتيان المخبر أو الإعلامي لمكان الحدث ذي الأهمية من غير الرجوع إلى أحد من رؤسائه أو مدرائه إذا كان في ذلك درء مفسدة، أو جلب مصلحة لعامة المسلمين، أو خاصتهم<sup>(٥٨)</sup>.
- التبين والتروّي في تصديق المخبر<sup>(٥٩)</sup>.
- امتحانه للتأكد من صدق ما جاء به<sup>(٦٠)</sup>.
- أهمية الطيران كوسيلة سريعة ومأمونة لنقل المعلومة<sup>(٦١)</sup>.
- استخدام المراسلين لاستجلاء الأخبار من مكان الأحداث وإعادتهم إليها لودعا الحال لذلك<sup>(٦٢)</sup>.
- وجوب ارتباط عقيدة المراسل واتجاهات تفكيره بعقيدة المرسل وفكره<sup>(٦٣)</sup>.

٨. توجيه المراسل لما يجب عليه عمله عند وصوله لمكان الحدث (٦٤).

وخلاصة القول: أن استخدام الوسائل السريعة التي تقدم ذكرها لنقل الأنباء، واستجلاء المعلومة، وكذلك وسائل بث الخبر ونشره، مثل: المذياع، والتلفاز، والفضائيات، والأقمار الصناعية وغير ذلك من الوسائل التقنية الحديثة لها أهمية كبرى بالنظر إلى تعاليم الدين الإسلامي، ونهجه الخفيف، لا سيما بعد أن حظيت المراكز والمؤسسات الخيرية والإعلامية باهتمام كبير من جانب الدول والمجتمعات والهيئات في عالمنا المعاصر، وأصبحت الرسالة الإعلامية تحمل فكر مرسلها، وتعمل في كافة مجالات النشاط الإنساني سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفنياً، فكان الإعلام بذلك قوة فاعلة تربط المجتمع الإنساني بمضامين واتجاهات متعددة بغرض التحول والإقناع، ومن ثم الاتباع والولاء.

وما نشاهده اليوم من هذا الفيض الهائل من البرامج المسموعة، والمقروءة، والمرئية التي تحملها أجهزة متطورة يوماً بعد يوم لدليل واضح على أهمية الإعلام وقوة تأثيره بالنسبة لأي جماعة أو دولة تتطلع للمجد، والسيادة، والانتشار (٦٥).

### الفصل الثالث: بيان أهمية نقل المعلومة والخبر

أصبح استخدام التقنيات العلمية الحديثة في الحصول على المعلومة ونقلها من أهم الركائز التي تمكننا من الوصول إلى أهداف الرسالة الإسلامية ومواكبة التطور والتقدم في مجالات الحياة كافة، سياسياً، واقتصادياً، وإعلامياً، وعسكرياً، وغير ذلك، وسواء أكان ذلك في مجال الحصول على المعلومات أم نقلها أم حفظها أم نشرها، وما نعيشه في عالم اليوم من تطور في المعلومات والتقنية، وتواصل رقمي متسارع في الحصول على المعلومة كيفما كانت وأينما كانت لدليل على أهميتها وقوة تأثيرها على الفرد والجماعة والأمم والشعوب، لذا كان اهتمام الإسلام عظيماً بجانب المعلومة والحصول عليها



وعدها ضرباً من ضروب العلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفِكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (١١) [فاطر: ١٤]، أي لا يخبرك مثل من هو خير بالأشياء عالم بها وهو الله سبحانه، فإنه لا أحد أخبر بخلقه وأقوالهم وأفعالهم منه سبحانه، وهو الخير بكنه الأمور وحقائقها (١٦)، لأن معنى الخبر: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر وخبرته خبراً وخبرة، وأخبرت: أعلمت بما حصل لي من الخبر، وقيل الخبرة المعرفة ببواطن الأمر (١٧)، وقد نهى المولى ﷺ عن اقتفاء الأشياء بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (١٨) [الإسراء: ٣٦]، ولا تقف أي لا تتبع ما لا تعلم ولا يعينك، عن ابن عباس قوله: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»، يقول: لا تقل حدثنا بشر، وعن قتادة: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً» لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله وقيل: المعنى لا تتبع الحدس والظنون (١٩).

كما كان الرسول ﷺ رائداً ومعلماً في بيان أهمية المعلومة والخبر وكيفية الحصول عليهما، يتضح ذلك في غزواته، ومقاتلة أعدائه، والسرايا التي يبعث بها، من ذلك ما حدث في غزوة بدر حينما نزل النبي ﷺ قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم، فقال له رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال: وذلك بذلك، قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء ثم انصرف عنه، قال: يقول الشيخ: ما

من ماء آمن ماء العراق، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علياً بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتصقون له الخبر عليه فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ قائم يصلي فسألوهما فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا لنسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أذلقوهما<sup>(٦٩)</sup> قالوا نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدة ثم سلم، فقال: إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنها لقريش، أخبراني أين قريش؟ قالوا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل، فقال رسول الله ﷺ لهما: كم القوم؟ قالوا: كثير، قال: ما عدتهم؟ قالوا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشرة، قال رسول الله ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما رسول الله ﷺ: فمن فيهم من أشرف قريش، قالوا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث بن كلدة، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها<sup>(٧٠)</sup>.

فأخذ مما تقدم أن الرسول ﷺ بحث عن المعلومة بنفسه وكان بإمكانه - صلوات ربي وسلامه عليه - أن يسند هذا الأمر إلى واحد من القادة أو الجنود، ولكن ليعلم أمته وأصحابه أهمية المعلومة والخبر في مثل هذه المواقف التي تكون الغلبة فيها لأهل الصبر، والحكمة، والحكمة، وقوة الإيمان والعزيمة، وقد ظهرت خنكته ﷺ الحربية والأمنية حينما انتزع المعلومة من الشيخ العربي فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه

عنهم فأخبره عن اليوم الذي تحركت فيه قريش، والمكان الذي به يعسكرون وقد تكون هي المعلومة التي كان يبحث عنها الرسول ﷺ، ويجوز أن يريد الرسول ﷺ استدراج الشيخ العربي ليسترسل له في سرد المعلومات عن الجيش القرشي، ثم بدا حسه الأمني ﷺ حينما اشترط عليه الشيخ العربي بقوله: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم، فقال له رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، فكان هذا التزاماً من الرسول ﷺ بإخباره ولكن ليس التزاماً بتملكه المعلومة المهمة والمطلوبة من قبل أعدائه وهو الصادق الأمين: ﴿وَمَا يَطْلُقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ﴾ [النجم: ٣]، أي: ما الذي يتكلم به عما قاله بهواه (٧١). لذا كان رده ﷺ صادقاً ذكياً فيه دعوة إلى التفكير في ذات الإنسان وخلقه أفحم الشيخ العربي: نحن من ماء أي وجدنا من ماء تفسيراً لقوله ﷺ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، وسريعاً ما انصرف ﷺ حتى يوصد باب النقاش والتساؤل أمام الشيخ العربي. ثم بدا الحس الأمني للرسول ﷺ وحرصه الشديد علي جلب المعلومات والأخبار عن جيش المشركين حينما بعث علياً بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتبسون له الخبر. وكما تقدم، أصابوا راوية لقريش فيها غلامان أتوا بها رسول الله ﷺ، فسألها عن مكان قريش، وعن عدة جيشها، ومن فيهم من أشرف قريش فأخبراه بالمعلومات الكافية إلا عن عدة الجيش وهي المعلومة الأهم فقالا: لا ندري، فانتزع منهما ﷺ المعلومة بفطنة وحكمة ولم يلجأ لضربها كما هي عادة أفراد الاستخبارات والأمن في واقعنا المعاصر، لأن مثل هذه المعلومة لا توجد عند السقاة ونحوهم، وإنما يمتلكها الأشراف والقادة من ذوي النفوذ والمكانة، لذا سألها ﷺ قائلاً: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، قال رسول الله ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف. ثم في غزوة الأحزاب ما رأينا معلماً ولا قائداً عسكرياً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فأنظر وتأمل في سيرته ﷺ وفي تلك الغزوة تجده ﷺ يحرص على جلب المعلومات المهمة عن العدو في وقت الشدة الذي زاغت فيه الأبصار وبلغت

القلوب الخناجر، والمسلمون صافون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقهم وقرينة اليهود أسفل منهم يخافونهم على ذراريمهم، وما أتت عليهم ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدهم أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ و﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِلَّا قَرَارًا﴾ (١٣) [الأحزاب: ١٣]، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون وهم ثلاثمائة أونحو ذلك (٧٢). ثم في هذا الوقت العصيب تظهر حكمة النبي ﷺ الأمنية والقيادية أكثر في إيفاده لهذه المهمة الجليلة الحواريين والخلص من أصحابه، أمثال الزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، فمن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: من يأتيني بخبر القوم (٧٣)؟ يوم الأحزاب، قال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: إن لكل نبي حوارياً (٧٤) وحواري الزبير (٧٥)، وعن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله، قال سمعته يقول: ندب (٧٦) رسول الله ﷺ يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندهم فانتدب الزبير، ثم ندهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حوارى وحواري الزبير» (٧٧)، وعن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت (٧٨)، فقال حذيفة: «أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر (٧٩)، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا برجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا برجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: قم يا حذيفة فأنتنا بخبر القوم، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: اذهب فأنتي بخبر القوم ولا تدعهم علي (٨٠)، فلما وليت من عنده جعلت كأنها أمشي في حمام (٨١)، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره (٨٢) بالنار فوضعت سهماً في كبد القوس (٨٣) فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله: «ولا

تذعرهم علي»، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: قم يا نومان (٨٤) (٨٥).

ولما انقضى شأن الخندق تفرغ النبي ﷺ لأمر اليهود من بني قريظة الذين نقضوا العهد والميثاق الذي أبرموه مع رسول الله ﷺ بمعالجة أمرهم وذلك لمشاركتهم في تأليب القبائل وتحزب الأحزاب على الرسول ﷺ ودعوته فكان أن حكم فيهم سعد بن معاذ بحكم الله بقتل الرجال وسبي النساء والذراري، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد هو ابن معاذ بعث رسول الله ﷺ وكان قريباً منه فجاء على حمار فلما دنا قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم، فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال له: إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة (٨٦) وأن تسبي الذرية (٨٧)، قال: لقد حكمت فيهم بحكم الملك (٨٨). وكذلك أمر سلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع اليهودي فيمن حزب الأحزاب وأظهر العداوة للرسول ﷺ، فعن البراء بن عازب قال بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم (٨٩)، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلني أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمننت (٩٠)، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق (٩١) على وتد (٩٢)، قال فقمت إلى الأقاليد (٩٣) فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده (٩٤)، وكان في علالي (٩٥) له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من الداخل، قلت: إن القوم نذروا بي (٩٦) لم يخلصوا إلي حتى أقتله فأنتهيت إليه،

فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً<sup>(٩٧)</sup> وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأملك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال فأضربه ضربة أنخسته<sup>(٩٨)</sup>، ولم أقتله، ثم وضعت طبة<sup>(٩٩)</sup> السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله؟ فلما صاح الديك<sup>(١٠٠)</sup> قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل أبو رافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط<sup>(١٠١)</sup>.

وفي أمر بني قريظة، وقصة أبي الحقيق حكمة نبوية وتربية إعلامية وروحية، وذلك أن النبي ﷺ لم يتعجل في معالجة أمرهما مع علمه ﷺ بما كانوا يدبرونه ويحكيونه ضد الدعوة الإسلامية الجديدة، فلما فرغ من أمر الأحزاب لم تأخذه في الحق لومة لائم ولم يلجأ لطريق التفاوض والحوار بل كان رده حاسماً وقاطعاً لدابر الظالمين، فكان ذلك تعليماً لأمتة في ترتيب الأوليات في العمل السياسي والإعلامي وتأديب المارقين عن طاعة الله ورسوله، واستئصال الخائنين والماكرين الذين يمكرون، ويمكر الله والله خير الماكرين، فكان هذا من مكر الله ومكر رسوله.

## الفصل الرابع: في أدب التعامل مع النبا

### المبحث الأول: كيفية صياغة النبا وبثه

عندما قال الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿أَحْطُتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ لَبِئْسَ يَقِينٌ﴾ [النمل: ٢٢]، صاغ له ذلك النبا بكلمات جامعة موجزة الألفاظ، متسعة المعاني ما لو تتبعها المتبع لاحتاجت منه كتباً أو مجلدات ورقية، لأن حديثه احتوى أربع نقاط مهمة هي: امرأة ملكة في قومها، أوتيت من كل شيء، لها عرش عظيم، تسجد وقومها للشمس من دون الله، جمعها في قوله: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٣] وَجَدْتُهَا وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [٢٤]. [النمل: ٢٣-٢٤].

يعني بلقيس بنت شراحيل تملك أهل سبأ، كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بأرض يقال لها «مأرب» على ثلاثة أميال من صنعاء، وقوله: «وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أي من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن «وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» يعني سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر والآلئ. قال علماء التاريخ: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه، وقد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحاً ومساءً، ولهذا قال: «وَجَدْتُهَا وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» (١٠٢). كان هذا فحوى خبر الهدهد الذي جاء به إلى نبي الله سليمان عليه السلام وقد جمع المعاني الكثيرة في لفظ يسير لم يخرج منه شيء عن طالبه ومستنبطه لعدوبة لفظه وجزالته كما كان كلامه عليه السلام بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني، عن هشام عن أبيه قال: «كان أبو هريرة يحدث

ويقول: اسمعي يا ربة الحجرة، اسمعي يا ربة الحجرة<sup>(١٠٣)</sup>، وعائشة تصلي، فلما قضت صلاتها قالت لعروة: ألا تسمع إلى هذا ومقالته آنفاً؟ إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العاذّ لأحصاه<sup>(١٠٤)</sup>. فجوامع الكلم ميزة اختص الله بها هذه الأمة، وفضل بها نبينا من جملة مميزات أخريات علي سائر الأنبياء والرسل، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم<sup>(١٠٥)</sup>، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون<sup>(١٠٦)</sup>»، فالإيجاز في القول مع تضمينه المعاني الكثيرة نهج القرآن وخلق العظيم الذي تخلق به الرسول ﷺ وأرشد أصحابه وأتباعه إلى انتهاجه والتخلق والأخذ به سواء أكان في بث الأخبار، أو الأحاديث العامة، أو الخطب، أو الدعاء، وغير ذلك، كما جاء في الصحيح عن عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر عن أبيه عن واصل بن حيان قال: قال أبو وائل: «خطبنا عمار فأوجز وأبلغ فلما نزل قلنا يا أبا اليقظان، لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست<sup>(١٠٧)</sup>»، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول: إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة<sup>(١٠٨)</sup> من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان سحراً<sup>(١٠٩)</sup>»<sup>(١١٠)</sup>.

وإن من الأنباء ما يجب كتمانها ولا يصلح نشرها للعامة أو التحدث بها، لما في التحدث بها من جلب مفسدة أو شر مستتر لشخص مسلم، أو جماعة، أو أمة، كالمشائين بالنميمة بين الناس، والمخبرين من المسلمين الذين ينقلون أسرار المسلمين إلى الكفرة والمشركين، وفي ذلك فسق وإثم كبير، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع<sup>(١١١)</sup>»، وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود<sup>(١١٢)</sup>».



## المبحث الثاني: تحليل النبأ وتوجيهه

لا بد بعد إيراد الخبر وبثه أن يكون مصحوباً بالتحليل والمناقشة والتوجيه، ألا ترى أن هدهد سليمان عليه السلام حينما أورد خبره من منطقة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٣-٢٤]، أتبعه التحليل والمناقشة والتوجيه بقوله: ﴿وَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿﴾ (٢٦) [النمل: ٢٤-٢٦]، فقولهُ: «وَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» أي سبيل التوحيد «فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ». فهو بذلك يبين السبب الذي منعهم من الاهتداء إلى الحق واتباعه. والشيطان مزين لهم بالوسوسة التي تجد في نفوسهم كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿﴾ (٨٣) [ص: ٨٢-٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٢٢) [الحجر: ٤٢] (١١٣). ثم في تحليل متميز، ومناقشة منحت الخبر القوة والموضوعية، استنكر الهدهد على بلقيس وقومها سجودهم للشمس من دون الله، وتركهم السجود لله: «الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ». فالله تعالى أحق بالسجود والعبودية من هؤلاء، لأنه تعالى: «يُخْرِجُ الْخَبَاءَ»، أي يخرج المخبوء في السماوات والأرض من غيث في السماء ونبات في الأرض، كانتا رتقا لا تمطر هذه ولا تنبت هذه ففتق السماء وأنزل منها المطر وأخرج النبات (١١٤)، «وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ»: أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال وهذا كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) [الرعد: ١٠]. «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» يقول تعالى ذكره: الله الذي

لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو لا معبود سواه تصلح له العبادة فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالطاعة ولا تشركوا به شيئاً، «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» يعني بذلك: مالك العرش العظيم الذي كل عرش وإن عظم فدونه لا يشبهه عرش ملكه سباً ولا غيره<sup>(١١٥)</sup>. ولا يبعد من الهدهد التهذي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس إلهاماً من الله له ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاء العقول يهتدون لها، والهدهد من أمة الطير التي عدّها المولى ﷺ ضمن مخلوقات عظيمة تسجد لعظمة الله وجلاله، وتقده كما جاء مبيناً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝﴾ [الحج: ١٨] (١١٦).

وقوله: «أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ» أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ تُعْبُدُونَهُ ۝﴾ [فصلت: ٣٧]. «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ»، أي الآيات الأربع «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (١١٧)، وهذه الآيات الأربع والنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ قد عبدت من دون الله إلا أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة (١١٨)، كما جاء في الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ له حين غربت الشمس: ((تدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع

من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] (١١٩).

وقال أبو العالية (١٢٠): «ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع الله ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته وأما الجبال والشجر فسجودهما بقيء ظلالهما عن اليمين والشمال»، وعن ابن عباس، قال: «جاء رجل فقال: يا رسول الله، إني رأيتني الليلة وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود، قال ابن عباس: فقرأ رسول الله ﷺ سجدة ثم سجد، فسمعتة وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة» (١٢١).

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، مالك الملك، وملك الملوك، ودون عرشه العروش، بيده الملك يهبه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء، كما وهبه لنبي الله سليمان عليه السلام ولبليقيس ملكة سبأ ولكن بين ملك نبي الله وملكها بون شاسع، لأن ملك سليمان عليه السلام هبة من الله، كما تقدم، لذا كان جنوده عليه السلام من الجن والإنس والطير، كلها مسخرة بأمر ملكها سليمان لأمر مالك الملك وعبادته وتوحيده، وجهاد أعدائه، وملك بليقيس كان من متاع الدنيا القليل، والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

## النتائج والتوصيات

### أولاً: النتائج .

١. نقل الأخبار وتداولها وسيلة الاتصال الإنساني المباشر، وفطرة فطر الله عليها البشرية منذ نشأتها الأولى، وتعدد وسائلها وتتطور من جيل إلى جيل، ومن زمن إلى زمن، ومع ذلك لا بد أن تتوفر فيها هذه الأركان والعناصر: العدالة، والصدق، والثبوت، والأمانة.

٢. ينبغي التبين والتروى في تصديق المخبر، وامتحانه للتأكد من صدق ما جاء به.

٣. إن أعظم الأنبياء وأفضلها وأكثرها تجداً هو نبي الرسول ﷺ الذي تلقاه عن ربه ﷺ بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام وهو القرآن العظيم الذي ما يزال خطر الإعراض عنه ماثلاً أمام الناس إن لم يفروا إلى الله، ويتوبوا إليه، لقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي» أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً» أي ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح ل صدره، بل صدره ضيق حرج ل ضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة، وقيل: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي» القرآن فلم يؤمن به «وَنَحْشُرُهُ» أي المعرض عن الذكر والقرآن «يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» أعمى البصر (١٢٢)، فلا ينبغي أن يستخف بالقرآن، وبما أخبر به، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ٢٧ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ٢٨﴾ [ص: ٦٧-٦٨]، وقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١ عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ ٢﴾ [النبا: ١-٢]، وهو القرآن كما تقدم.

٤. إن أهم وظائف الإعلام الإسلامي وأساسه في ظل دولة التوحيد والإيمان يكمن في النقاط التالية:

١. تحذير الناس وإنذارهم مما يحدق بهم من الأخطار، ويقودهم إلى المصائب أو الهلاك، كما كان من أمر النبي ﷺ الذي بينه بقوله: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثّل رجل أتى قومًا، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه أدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» (١٣٣).

٢. بيان هدى الله، وصراطه المستقيم، وتبصير الناس به، وتعليمهم إياه مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

٣. بث العلم وتبليغه، وإذاعته تعليماً وإفتاءً، لأن بالعلم قوام الدنيا والدين، ولأن الدين الإسلامي قام على العلم والقراءة فكانت أول سورة أنزلها الله على رسوله محمد بلسان جبريل ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١).

٤. نشر قيم الدين، والإيمان، والعمل الصالح والدعوة إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

٥. غرس قيم التربية القتالية في نفوس أهل الإيمان، من الشباب، والشيوخ، والنساء، والأطفال، وتحريضهم على قتال أعداء الله، والدين، والوطن، وتعليمهم قيم الصبر، والثبات عند لقاء العدو.

٥. العمل في مجال نقل الخبر والمعلومة عرضة للمشاكل، والمتاعب والمخاطر، ولا بد للمسلم المخلص العامل في حقها أن يؤديها بمفهوم الانتصار لدين الله، وإعلاء كلمته، والذود عن حياضه.
٦. لا بد من ارتباط عقيدة المراسل واتجاهات تفكيره بعقيدة المرسل وفكره.
٧. وجوب الإتيان بالأخبار من مكانها، وللمخبر الإتيان لمكان الحدث ذي الأهمية من غير الرجوع إلى أحد من رؤسائه أو مدرائه إذا كان في ذلك درء مفسدة، أو جلب مصلحة لعامة المسلمين، أو خاصتهم.
٨. الطيران أهم وسيلة سريعة ومأمونة لنقل الأخبار والمعلومات.
٩. جواز التجسس والتربص والمكر بأعداء الأمة الإسلامية من اليهود والنصارى والكفرة والمشركين ويتعين إذا اختار الحاكم أو الخليفة المسلم شخصاً أو جماعة بعينها إذا كان في ذلك درء مفسدة أو جلب مصلحة للإسلام والمسلمين.

#### ثانياً: التوصيات

١. الأخذ والعناية بالعلوم الحديثة، والفنون الإنسانية المعاصرة ومنها الإعلام وتقنياته الحديثة دراسة وتأصيلاً، ونقداً وتحليلاً، بما يوفر طاقات علمية قادرة على الإسهام بالجديد الملتزم بهدى الله، سواء في مجال البرامج أو التقنيات أو القوى البشرية المدربة.
٢. إعداد منهج متخصص في مجال نقل الخبر والمعلومة بصفة خاصة، والإعلام بصفة عامة وفق تعاليم الإسلام وآدابه يكون بمثابة الدليل والمرجع للمؤسسات، والهيئات، والوكالات الإعلامية الإسلامية المختلفة.

٣. إعداد العاملين في حقل الإعلام الإسلامي ومؤسساته وتأهيلهم لإعداد جيل إعلامي متخصص في فنون الإعلام وتقنياته الحديثة وحسن استخدامها، وتبصيرهم بما يجب عليهم عمله للوصول لمرضاة الله ونصرة دينه، وإعلاء كلمته.

٤. السعي لتحديث الوسائل الإعلامية وتطويرها في السودان بصفة خاصة، وفي العالم الإسلامي بصفة عامة لمواكبة عصر التقنيات الحديثة، ومحاربة الأفكار العلمانية والمادية، وإيصال الرسالة الإسلامية لكافة الناس بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، لتحقيق ما يجب أن تكون عليه هذه الأمة المسلمة من المكانة والريادة التي أشار إليها كتاب الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) النبي: أَخْبِرُ عن الله تعالى. والنبوة: سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة غلهم في أمر معادهم ومعاشهم. والنبي لكونه منبأ عما تسكن إليه العقول الذكية. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ٦٧/١، ومفردات القرآن، ١٤١٠/١.

(٢) انظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٢٦/٤، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ٤٨٨/٤.

(٣) محمد بن جرير بن يزيد، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البدئية، من أهل أمل طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢٦٧/١٤.

(٤) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ٤٤٩/٥.

(٥) التحرير والتنوير، ٢٥٠/١.

(٦) أبو العالية: رفيع بن مهران الرياحي، مولاهم، البصري المقرئ المفسر، قرأ القرآن على أبي، قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبيرة. العبر في خبر من غير، الذهبي، ١٩/١.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٨٠/١.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، ٣٦٨/١.

(٩) المرجع السابق، ٢٢٨/١١.

(١٠) المرجع السابق، ٣٠/١.

(١١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ١٠٨/١، والدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ١٢٦/١.

(١٢) المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ٢٨٨/٢، حديث رقم ٣٠٣٩.

(١٣) أصل الإنذار: الإعلام، يقال: أنذرته أنذرته إنذاراً إذا أعلمته فأنما مُنذِرٌ وتذير: أي مُعَلِّمٌ وخَوْفٌ وعذرٌ، والتذير: التُنْذِيرُ، وهو المُحْذِرُ فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ وقيل: المُنْذِرُ: المُعَلِّمُ الذي يُعَرِّفُ القومَ بما يكون قد



دهمهم من عَدُوٍّ أو غيره. تاج العروس، ٣٥٢٧/١، وأنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القنوي، دار الوفاء، حدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق د. أحمد بن عبد الرزاق الكيسي، ٧٦/١.

(١٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ٢٢/١.

(١٥) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٧٤٠/١.

(١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ٧٦/١، والمرجع السابق، ٨١٤/١.

(١٧) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٣٤٦/٢، حديث رقم ٣٦٥٩، باب فضل نشر العلم وتبليغه.

(١٨) بقطة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، صديق بن حسن بن علي القنوجي، مكتبة عاطف، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ٢٢٤/١.

(١٩) تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٣٤/١.

(٢٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ٢٣١/٥، حديث رقم ٢٢٠٦٩.

(٢١) هذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة، لأنهم أكثر ما يُغيرون عند الصباح، ويُسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكانَ القاتلُ ما صباحاه، يقول: قد غَشَيْنَا العدوَّ، وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال، فإذا عاد النهار عادوا، فكانه يريد بقوله: ما صباحاه قد جاء وقتُ الصباح فأهْبَوا للقتال. لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٥٠٢/٢.

(٢٢) الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ١٨٠٤/٤، باب قوله: «إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ غَذَابٍ شَدِيدٍ»، حديث رقم ٤٥٢٣.

(٢٣) «أنا النذير العريان» قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه، وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيعة قومه، هو طليعتهم ورقبيهم. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين، القشيري، النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، ١٧٨٨/٤، باب شَفَقَتَهُ ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، حديث رقم ٢٢٨٣.

- (٢٤) «فالنجاء» أي انجوا النجاء، أو اطلبوا النجاء. المصدر السابق.
- (٢٥) «فأدلجوا» معناه: ساروا من أول الليل، أدلجت أدلج إدلاجاً كأكرمت أكرم إكراماً، والاسم الدلجة فإن خرجت بالليل قلت: أدلجت أدلج إدلاجاً بالتشديد، والاسم الدلجة بضم الدال. المصدر السابق.
- (٢٦) «احتاحهم» استأصلهم. المصدر السابق.
- (٢٧) المرجع السابق. دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب شفقتة ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، حديث رقم ٢٢٨٣.
- (٢٨) سنن البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ١٠٤/١٠، باب الثبوت في الحكم، حديث رقم ٢٠٠٥٧، والدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ٥٥٨/٧.
- (٢٩) انظر الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١٦/٢٦٤، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ٨٦/٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ١١/٣٨٣.
- (٣٠) تفسير النسفي، النسفي، ٤/١٦٣.
- (٣١) للمصدر السابق.
- (٣٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير، ٢/٢١٨، وتفسير الجلالين، مصدر سابق، ١/٢٦٣.
- (٣٣) عن مجاهد في قوله: «قُلْ هُوَ تَبَّاً عَظِيمٌ \* أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» قال: القرآن، وعن ابن سيرين عن شريح أن رجلاً قال له: أنقضي علي بالنبا؟ قال: فقال له شريح: أوليس القرآن نبأ؟ قال: وتلا هذه الآية: «قُلْ هُوَ تَبَّاً عَظِيمٌ»، قال: وقضى عليه. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ١٠/٦٠٣.
- (٣٤) انظر مفردات القرآن، ١/١٤١، وتفسير الجلالين، مصدر سابق، ٤/٦٠٤، والجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ١٥/١٩٨.
- (٣٥) المصدر السابق.
- (٣٦) الفُسق: العصيان، والترك لأمر الله ﷻ، والخروج عن طريق الحق، وقيل: الفُسق الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية، كما فسق إبليس عن أمر ربه، وفسق عن أمر ربه، أي حار ومال عن طاعته. «ففسق عن أمر ربه» أي خرج من طاعة ربه، والعزب تقول - إذا خرجت الرطبة من قشرها - : قد فسقت الرطبة من قشرها وكان الفأرة إنما سميت فوسقة لخروجها من جحرها على الناس، والفُسق: الخروج عن الأمر. لسان العرب، مصدر سابق، ١٠/٣٠٨، والقاموس المحيط، مصدر سابق، ١/١٩٨٥.
- (٣٧) تفسير النسفي، ٤/١٦٣، وانظر مفردات القرآن، ١/١٤١.
- (٣٨) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٢٦٤.

- (٣٩) انظر المصدر السابق، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، تحقيق محمد حامد الفقي، ١/٣٦٠.
- (٤٠) الجامع لأحكام القرآن، ١٣/١٦٤.
- (٤١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٩/٥٠٩.
- (٤٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، ١٣/١٧٠، وتفسير الجلالين، الطبعة الأولى، ١/٦٠٢.
- (٤٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٣/١٧٠.
- (٤٤) الدر المنثور، مصدر سابق، ٥/١٦٥، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، ٣/١٤٣٥، حديث رقم ٨٩٩٥.
- (٤٥) «ما يتبين ما فيها» معناه لا يتدبرها ولا يتفكر في قبورها ولا يخاف ما يترتب عليها وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة وكالكلمة يقذف بها أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك.
- (٤٦) صحيح مسلم، مصدر سابق، ٤/٢٠١٢، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم ٢٦٠٧.
- (٤٧) «الحلم والأناة»: أما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهي التثبت، وترك العجلة. المصدر السابق، ٤/٢٢٩٨.
- (٤٨) المصدر السابق، ١٤/٢٢٩٠، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، (وفي نسخة باب حفظ اللسان).
- (٤٩) سنن البيهقي، مصدر سابق، ١٠/٢٠٩، حديث رقم ٢٠٧٠٠، وجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ١/٣٥٩، حديث رقم ٦٠١، وتحريم آلات الطرب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١/٦٩.
- (٥٠) قال شعيب الأرناؤوط، إسناده صحيح على شرط مسلم. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ١٦/١٨١، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء...، حديث رقم ١٧.
- (٥١) مختصر ابن كثير، محمد علي الصابري، ١/٣٧٠.
- (٥٢) أي خادعوك من الورب وهو الفساد، ويجوز أن يكون من الإرب وهو الدهاء. لسان العرب، مصدر سابق، ١/٧٩٦.

(٥٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ٩٩/١١، حديث رقم ١١١٦٩.

(٥٤) مجلة البيان، العدد ٢٣٣.

(٥٥) المصدر السابق.

(٥٦) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، ٣٣٧/١. والكلمة الأخيرة: «ليس الخير كالمعانة» هي لفظ حديث أخرجه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، والطبراني في المعجم الأوسط وابن حبان في صحيحه، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٥٧) يدل على ذلك قوله تعالى: «لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِيبَنَّ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ».

(٥٨) يدل على ذلك قوله تعالى: «مَا لِي لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ».

(٥٩) يدل على ذلك قوله: «سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ».

(٦٠) يدل على ذلك قوله: «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ».

(٦١) يدل على ذلك طيران الهدهد إلى ملكة سبأ لاستجلاء خبر بلقيس وقومه.

(٦٢) يدل على ذلك ما تقدم في النقطة السابقة، وقوله تعالى حكاية عن قيل نبي الله سليمان ﷺ

للهدهد: «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ»، وقوله: «أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِثْرِ مَا قَبِلْتُمْ بَهِيمَةً مِثْلَهُمْ فَأَخْرِجُهُمْ مِمَّا آدَلْتُمْ وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٣٧﴾» [النمل: ٣٧].

(٦٣) يدل على ذلك قول الهدهد حكاية عن بلقيس ملكة سبأ: «وَحَدَّثُهَا وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ \* أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»، وقول بلقيس حكاية عن كتاب نبي الله سليمان ﷺ: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فمضمون القولين على اتحاد الفكر والعقيدة.

(٦٤) يدل على ذلك قوله تعالى: «فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ».

(٦٥) مجلة البيان، العدد ٢٣٣.

(٦٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مصدر سابق، ٤٨٨/٤.

(٦٧) مفردات القرآن، ٣٨٦/١.

(٦٨) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٨٠/٨، والجامع لأحكام القرآن، ٢٢٥/١٠.

(٦٩) أي أضعفهما، انظر القاموس المحيط، ١١٤٣/١.

- (٧٠) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ٢٧/٢-٢٨.
- (٧١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، ١٠٣٨/١.
- (٧٢) بتصرف من البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت، ١١٤/٤.
- (٧٣) القوم: المراد بنو قريظة من اليهود. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، ١٠٤٦/٣.
- (٧٤) الحواري: الناصر. المصدر السابق، ١٠٩٢/٣.
- (٧٥) المصدر السابق، حديث رقم ٢٦٩١، باب فضل الطليعة، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما رقم ٢٤١٥.
- (٧٦) نذب فانتدب: أي دعاهم للجهاد وحرضهم عليه فأجابهم الزبير. صحيح مسلم، مصدر سابق، ١٨٧٩/٤.
- (٧٧) المصدر السابق، ١٨٧٩/٤، حديث رقم ٢٤١٥، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما.
- (٧٨) أبليت: أي بالغت في نصرته كأنه أراد الزيادة على نصرته الصحابة.
- (٧٩) القر: هو الرد.
- (٨٠) «ولا تذعروهم علي» أي لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، وقيل معناه: لا تنفرهم وهو قريب من المعنى الأول، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضرراً علي لأنك رسولي وصاحبي.
- (٨١) «كأنما أمشي في حمام» يعني أنه لم يجد الرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي صلى الله عليه وسلم وذهابه فيما وجهه له ودعائه صلى الله عليه وسلم له، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من الرد حتى عاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما عاد ووصل عاد إليه الرد الذي يجده الناس، ولفظ الحمام عربية وهو مذكر مشتق من الحميم وهو الماء الحار.
- (٨٢) «يصلي ظهره» أي يدفعه ويدنيه منها.
- (٨٣) «كبد القوس» هو مقبضها وكبد كل شيء وسطه.
- (٨٤) «يا نومان» هو كثير النوم وأكثر ما يستعمل في النداء كما استعمله هنا.
- (٨٥) انظر الحديث وشرحه في صحيح مسلم، مصدر سابق، ١٤١٤/٣، حديث رقم ١٧٨٨، باب غزوة الأحزاب، وراجع البداية والنهاية، مصدر سابق، ١١٤/٤.
- (٨٦) المقاتلة: البالغين الذين من شأنهم أن يقاتلوا.
- (٨٧) تسي الذرية: يؤخذ النساء والصبيان سبياً فيجعلون أرقاء ويوزعون على الغنائم المسلمين.

- (٨٨) الجامع الصحيح المختصر، مصدر سابق، ١١٠٧/٣، حديث رقم ٢٨٧٨، باب إذا نزل العدو على حكم رجل.
- (٨٩) راح الناس بسرهم، رجعوا بمواشيهم التي ترعى.
- (٩٠) أي: اختبأت.
- (٩١) الأغاليق: المفاتيح جمع غلق وهو ما يغلّق به الباب.
- (٩٢) الرند خشبة تجعل في الحائط ويبقى قسم منها بارزاً ليعلق عليه المفاتيح ونحوها.
- (٩٣) الأقاليد: المفاتيح.
- (٩٤) يسمر عنده: يتحدثون عنده بعد العشاء.
- (٩٥) علالي: جمع عليّة وهي الغرفة.
- (٩٦) نذروا أي: عملوا من الإنذار وهو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه.
- (٩٧) أي لم أقتله فلم أفعل ما يجدي.
- (٩٨) أنختته: بالغت في جراحته.
- (٩٩) ظبة: حرف حد السيف.
- (١٠٠) صاح الديك: أي كان وجه الصبح.
- (١٠١) الجامع الصحيح المختصر، مصدر سابق، ١٤٨٢/٤، حديث رقم ٣٨١٣، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق.
- (١٠٢) انظر مختصر ابن كثير، ٨٨٥/٢، والجامع لأحكام القرآن، ١٦٤/١٣.
- (١٠٣) «اسمعي يا ربة الحجر» يعني عائشة ومراده بذلك تقوية الحديث بإقرارها ذلك وسكوها عليه ولم تنكر عليه شيئاً من ذلك سوى الإكثار من الرواية في المجلس الواحد لخوفها أن يحصل بسببه سهو ونحوه.
- صحيح مسلم، مصدر سابق، ٢٢٩٨/٤.
- (١٠٤) المصدر السابق، ٢٢٩٨/٤، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم ٢٤٩٣.
- (١٠٥) «أعطيت جوامع الكلم»، انظر الحديث وشرحه في صحيح مسلم، مصدر سابق، ١٤٢٤/٣، حديث رقم ١٧٨٨، باب غزوة الأحزاب، وراجع البداية والنهاية، مصدر سابق، ١١٤/٤.
- (١٠٦) المصدر السابق، ٣٧١/١، باب كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٢٤٩٣.
- (١٠٧) «قلو كنت تنفست» أي أظلت قليلاً. صحيح مسلم، مصدر سابق، ٥٩٤/٢.
- (١٠٨) «مننة» أي علامة. المصدر السابق.
- (١٠٩) قال أبو عبيد: هو من الفهم وذكاء القلب، قال القاضي: فيه تأويلان، أحدهما أنه ذم لأنه إمالة للقلوب وصرفها بمقاطع الكلام إليه حتى تكسب من الإثم به كما يكسب بالسحر وأدخله مالك في الموطأ

في باب ما يكره من الكلام وهو مذهبه في تأويل الحديث، والثاني أنه مدح، لأن الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان وشبهه بالسحر ليل القلوب إليه، وأصل السحر الصرف، فالبيان يصرف القلوب ويميلها إلى ما تدعو إليه، هذا كلام القاضي، وهذا التأويل الثاني هو الصحيح المختار. المصدر السابق.

(١١٠) المصدر السابق، ٥٩٤/٢، حديث رقم ٨٦٩.

(١١١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ١٠/١، حديث رقم ٥، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(١١٢) المعجم الكبير، مصدر سابق، ٩٤/٢٠، حديث رقم ١٨٣، والجامع لأحكام القرآن، مصدر

سابق، ١٠٥/٩.

(١١٣) التحرير والتنوير، مصدر سابق، ٣٠٥٥/١.

(١١٤) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ٥١٠/٩.

(١١٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥١٠/٩.

(١١٦) تفسير النسفي، ٢٠٩/٣-٢١٠.

(١١٧) تفسير الجلالين، مصدر سابق، ٦٣٥/١.

(١١٨) انظر تفسير القرآن العظيم، ٢٨٣/٣.

(١١٩) الجامع الصحيح المختصر، مصدر سابق، ١١٧٠/٣، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان

الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ١٣٨/١، حديث رقم ١٥٩. وقوله: «تسجد تحت العرش» تشبيه بغروها، وهي مقادة لأمر الله تعالى وتسخيره بانقياد الساجد من المكلفين وهو يخر إلى أسفل معلناً تمام انقياده وغاية خضوعه لأمر ربه حلّ وعلا. وكون ذلك تحت العرش فلأن السموات والأرض وغيرهما من العوالم كلها تحت العرش ففي أي موضع سقطت وغربت فهو تحت العرش. الجامع الصحيح المختصر، ١١٧٠/٣.

(١٢٠) رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي البصري، مولى امرأة من بني رياح بن يربوع (حي من

بني تميم)، اعتنقه واسمها سائبة، ومن كبار التابعين، توفي سنة ٥٩٠هـ، وقيل ٥٩٣هـ، وقيل بعدها. روى له أصحاب الكتب الستة، وقال ابن خنجر: ثقة كثير الإرسال. رواية التهذيبين، رقم ١٩٥٣.

(١٢١) رواه الترمذي في الجامع الصحيح، ٤٧٢/٢، باب ما يقول في سجود القرآن، حديث

رقم ٥٧٩، ورواه ابن ماجة في سننه، ٣٣٤/١، حديث رقم ١٠٥٣.

(١٢٢) تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ٤١٨/١.

(١٢٣) تقدم غريبه.